

نظام القرابة بالمجتمع (ماهيته وأهميته ووظائفه)

د.نتيجة جياوي- جامعة بسكرة- الجزائر

Résumé :

L'anthropologue chercheur ne peut pas comprendre les relations sociales, qu'elles soient liées à la relation entre les hommes et les femmes, ou la formation de groupes sociaux, ou les relations entre les groupes, le logement et la possession de la terre et à l'héritage et de la perception personnelle et les grands-parents de relations et hiérarchies sociales et l'autre sans passer par l'analyse de la parenté, et aussi que beaucoup de penseurs conviennent que la parenté effectuer de nombreuses fonctions *Alajtmaiho* stabilité psychologique, politique et économique qui travaillent sur la société humaine et de la continuité, et qui a fait, il est d'une grande importance dans la structure sociale. Et nous allons essayer à travers cette intervention, la réponse à la question cruciale suivante: Qu'est-ce que le concept de système de parenté et quel est son importance et les fonctions de la communauté?

الملخص :

إن الباحث الأنثروبولوجي لا يستطيع فهم العلاقات الاجتماعية سواء المتعلقة بالعلاقة بين الرجال والنساء، أو بتشكيل المجموعات الاجتماعية، أو بالعلاقات بين المجموعات أو السكن وإمتلاك الأرضي والإرث و تصور الشخصية والعلاقات بالأجداد والتراتبيات الاجتماعية وغيره دون المرور بتحليل القرابة، وكما أن العديد من المفكرين يتفقون على أن القرابة تؤدي العديد من الوظائف الاجتماعية والنفسية و السياسية والإقتصادية التي تعمل على إستقرار المجتمع البشري وإستمراره، وماجعلها تكتسي أهمية كبرى في داخل البناء الاجتماعي. ومنه سنحاول من خلال هذه المداخلة الإجابة على التساؤل المحوري التالي: ما مفهوم نظام القرابة وما أهميته ووظائفه بالمجتمع؟

مقدمة:

تعد القرابة نظام اجتماعي أو نظام للعلاقات الاجتماعية يقوم على علاقة ورابطة الدم أساسا، حيث يخضع كأي نظام اجتماعي لمجموعة من القواعد والمبادئ المنظمة للعلاقات فيما بين أفرادها، وتعد ذات أهمية كبرى داخل البناء الاجتماعي نظرا لوظائفه المختلفة خاصة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

1- مفهوم القرابة:

شكلت القرابة بمعناها الواسع الذي يشمل تحالفات الزواج وعلاقات المصاهرة موضوعا أساسيا من موضوعات الأنثروبولوجيا منذ نشأتها⁽¹⁾ بينما كانت أقل اهتماما عند علماء الاجتماع وذلك راجع إلى ضعف دوره في المجتمعات الصناعية الحضرية (الغربية) ولما كانت معظم أدبيات ونظريات علم الاجتماع قد كتبت ونشرت في العالم الغربي فإنها لم تثريه أو تنضره كما فعل علماء الأنثروبولوجيا⁽²⁾، ومنه نجد تعاريف متعددة لمصطلح القرابة، تختلف باختلاف المجتمعات لكل منها قواعد لتحديد هذا المفهوم فمنهم من يعرفها على أنها "علاقة اجتماعية تعتمد على الروابط الدموية الحقيقية أو الخيالية أو المصطنعة"⁽³⁾.

ويعرفها "كلود ليفي ستروس" "C.Lévi-Strauss" بأنها "تعتبر مؤسسة اجتماعية تقوم على روابط دموية أو روابط المصاهرة حيث يعتبر الأب والابن أقارب تجمعهم صلة الدم، ويعتبر الزوج والزوجة أصهار"⁽⁴⁾.

أما "مارتن سيقلان" "M. Segalen" فنقول أن "القرابة تعني في أن واحد: الأقرباء الذين يعنون الأب، الأم، الأخت، الأخ، الأعمام، الأخوال أبناء الأخوال، وسواء كانت هذه القرابة عن طريق الدم أو المصاهرة وكما تعني أنها مؤسسة تنظم في إطار سيرورة الحيات الاجتماعية"⁽⁵⁾.

أما التعريف الأنثروبولوجي للقرابة فيوضح "فوكس" "R.Fox" قائلا: ولا تعني القرابة في علم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والعلاقات العائلية والزواج وإنما تعني أيضا علاقات المصاهرة، فالقرابة هي علاقة دموية والمصاهرة هي علاقة زوجية فعلاقة الأب بابه هي

علاقة قرابية وعلاقة الزوج بزوجته هي علاقة مصاهرة، والطفل وليد أبويه وعلاقته القرابية يمكن ان تمتضي من خلالها⁽⁶⁾ وأوضح ريفرز " أن القرابة اعتراف وقبول اجتماعي للروابط البيولوجية والقرابة تعبر عن العلاقات الاجتماعية في مصطلح بيولوجي⁽⁷⁾ .

2- نظام التسلسل القرابي:

إن النظم التي تحدد أعضاء الجماعة القرابية الدموية تختلف بصورة كبيرة من مجتمع لاخروويمكن تلخيص أهم أنظمة التسلسل القرابي التي تشير عليها المجتمعات فيما يلي:

1-2- النظام الأبوي: يعني انتماء الفرد إلى الجماعة القرابية الدموية التي ينتمي إليها والده، وهي تضم كل الروابط التي تربط الشخص بأسلافه عن طريق أبيه أي أن روابطه القرابية يعترف بها عن طريق الذكور فقط⁽⁸⁾.

2-2- النظام الأموي: تحدد هذه القاعدة أقرباء الفرد بأنهم الجماعة القرابية الدموية التي تنتمي لها أمه، أي أن تسلسل القرابة هو عن طريق الإناث وليس الذكور⁽⁹⁾ ، وهذا النظام بسيط باعتبار أن الطفلة تظل عند والدتها وأخيها(الخال) والطفلة التي تعيش عند أخيها تحافظ على عصبيتها وعلى اسمها وتحول اسمها وعصبيتها وأملأها إلى أطفالها وأخيها يعتبر مثل والد أطفالها باعتبار أنها تعطي اسمه إلى أطفالها⁽¹⁰⁾.

2-3- نظام الانتساب الثنائي: هو انتساب مزدوج، بموجبه يصبح الفرد ينتسب إلى أبيه أو أمه في نفس الوقت ومنه يصبح نسب الفرد يرجع إلى جميع أقاربه من حيث الأب والأم ومعا وفي هذا النظام نوعين من الانتساب هما، النظام الثنائي الاختياري والنظام الثنائي الإجباري.

وبذلك نستنتج أن نظم القرابة في المجتمع الإنساني لا تحددها صلات الدم ولا الروابط البيولوجية، بل إنما يتحكم فيها ما يتواضع ويقوم عليه المجتمع من نظم وما يُقرُّهُ العقل الجمعي لذلك المجتمع من قواعد ونظم خاصة به.

3- أهم لآتجاهات النظرية للقرابة:

3-1- الاتجاه التطوري:

يتجه العلماء من أنصار هذا الاتجاه في نظريتهم عند دراسة نظام القرابة إلتجاهها تطوريا وذلك بالبحث عن البداية الأولى للنظم القرابية، ثم تتبع المراحل المختلفة التي مرت بها والأشكال التي اتخذتها تلك النظم في مختلف المراحل⁽¹¹⁾ ومن أبرز من كتب في هذا الاتجاه لويس هنري مورجان (1818-1888) أحد العلماء الأثنوبولوجيين الذي تأثر بالنزعة التطورية وضع نظرة أساسها تطور الحيات العائلية والزواج من البساطة إلى التعقيد⁽¹²⁾ فقد قدم 139 نسقا للقرابة من أجزاء مختلفة من العالم واستخلص من تلك الدراسة أن العائلة الانسانية أو البشرية في عمومها قد مرت بثلاث مراحل أساسية وهي مرحلة التوحش أو الهجومية ومرحلة مرحلة البربرية ثم أخيرا مرحلة الحضارة أو المدنية⁽¹³⁾.

نجد إلى جانب نظرية مورجان نظرية الباحث السويسري "باخوفن" من خلال كتاب "حق الأم" سنة 1861، ووضع من خلال دراسته هذه تتابعا زمنيا لنظم الزواج والأسرة والميزة والترييب الاجتماعي وتتلخص آراءه في وجود عدة مراحل أقدمها مرحلة الاختلاط الجنسي تليها مرحلة النظام الأمومي الذي تثبت فيه صلات الأعمات بالأبناء ويسمي "باخوفن" هذه المرحلة بالأمازونية⁽¹⁴⁾ بمعنى انتقال السيادة السياسية إلى الرجال بعدما كانت كانت في المجتمعات الأولى للنساء أي تحول النظام، انحدار النسب الأمي إلى النسب الأبوي⁽¹⁵⁾ أما ماكلينان (1827-1881) فقد درس في كتابه "الزواج البيدائي" المراحل التاريخية التي مرت بها تقاليد القرابة والزواج في العالم حيث ذكر بأن الشاعبة الجنسية كانت مسيطرة على المجتمع البيدائي منذ بداية تكوينه وفي ظل هذه المشاعية تكون جميع النساء في المجتمع حق مشاعا لجميع الرجال وجميع الرجال حق مشاعا لجميع النساء دون أي تقييد بنظام الزواج المعروف وبعد تقدم الإنسانية في المراحل الحضارية تغير هذا النظام إلى نظام القرابة والنسب الأمي الذي كان ماثلا في اليونان القديم ثم تحول إلى النظام الأبوي وأخيرا أصبح نظام القرابة والنسب مشترعا أي يمكن اقتفائه من خلال خط الذكور وخط الإناث⁽¹⁶⁾.

إن التطوريون لهم السبق في تسليط الضوء على قضايا مهمة فتحت مجالاً واسعاً للدراسات العلمية التي أعقبها في القرن العشرين مثل دراسات حول القرابة والأسرة والانحدار القرابي ومصطلحات القرابة وغيرها من الهتمامات الأنثروبولوجية .

2-3) الاتجاه البنائي الوظيفي):

من أبرز نظريات هذا الإتجاه مايلي:

1-2-3 نظرية النسب (الانحدار القرابي):

سيطرت نظرية النسب (أو الانحدار القرابي) طوال الفترة ما بين الثلاثينات والستينات وكانت مرتبطة بأعمال عالم الأنثروبولوجيا المتخصص في الدراسات الافريقية "مايزفورتس" (M- Fortss) والدراسات النظرية "لراد كليف براون"⁽¹⁷⁾ ويرى أصحاب هذه النظرية أن التناسل لا الزواج هو الذي يضمن استمرارية وتماسك المجموعات البشرية الأساسية التي يتألف منها المجتمع، فاستمرارية وتضامن المجموعات البشرية يقومان على أنظمة القرابة المنبثقة من سلالاتي الأب والأم ومن هنا يلعب النسب البنيوي الدور الأساسي في تشكيل ما نطلق عليه اسم النظام الاجتماعي بأبعاده الاقتصادية والثقافية والرمزية والاتصالية⁽¹⁸⁾، ويذهب أصحاب نظرية النسب أو الانحدار القرابي إلى أن نظم القرابة هي التي تضمن استمرار وجود الجماعات القرابية ككيانات سياسية عبر الزمن، ويعني هذا أن العلاقات داخل الجماعات القرابية يجب أن تتأسس وتتسمم من خلال صلات الانحدار القرابي الحقيقية والمتخيلة التي يمكن ارجاعها إلى أحد الوالدين أو كليهما فبؤرة الاهتمام هنا هي العلاقة بين الأب والابن والعلاقة بين الاخوة⁽¹⁹⁾، قد أخذ براون يعيش الاعتبار لأهمية الجماعات الاجتماعية التي تتمتع عادة بدرجة عالية من القدرة على البقاء والاستمرار، وقد بقي تركيزه على العلاقات بين الأفراد أو مايسميه بالعلاقات الثنائية أي العلاقات التي تقوم بين فرد وآخر فالنظام الأسري يتكون من علاقات ثنائية بين الزوج والزوجة وبين الوالدين والأبناء وبين الاخوة والأخوات وبين الأسرة نفسها والأقارب، وتمثل الأسرة الأولية الوحدة البنائية للنسق القرابي في منهج براون التحليلي والمقارن والوحدة الأساسية للبناء القرابي وعلاقات المصاهرة لأي شخص وهي ارتباطات يمكن تتبعها من خلال والديه وإخوته وقرينه وأبناءه⁽²⁰⁾ واهتم راد

كليف براون بمكانة "الخال" وأهميته فهو يرى أن مفهوم الخؤولة يتضمن نسقين متعارضين من الاتجاهات، في النسق الأول يمثل الخال السلطة العائلية وبالتالي فهو يتمتع ببعض الحقوق على ابن أخته الذي يظهره نحو الطاعة ويشعر بالرغبة والخوف منه، بينما في النسق الثاني يتمتع ابن الأخت ببعض الامتيازات التي تتمثل في عدم الألفة نحو الخال وذلك في المجتمعات التي تكون السلطة العائلية أبوية، حيث يمثل الأب السلطة والخال جانب الحنان وحين يمثل الخال السلطة في المجتمعات الأموية تكون العلاقة مع الأب تنسم بالمودة والألفة⁽²¹⁾

منه فإن جل هذه الدراسات أعطت الأهمية الأولى للانحدار القرابي والخلافة وتنسم بأنها دراسات أمبريقية إلى حد ظاهر كما تنسم بإرتباطها تاريخيا بالنظرية الوظيفية ، حيث يذهب أصحاب النظرية الانحدار القرابي إلى أن نظم القرابة وجدت لكي ترسم تعيين الحقوق والواجبات داخل المجتمعات⁽²²⁾

كما أدرك جميع منظري هذا الاتجاه براون، مارسيل موسى، مالفينوسكي أن العلاقات القرابية هي وسائل اجتماعية معدة للقيام بوظيفة اجتماعية ألا وهي تأمين التوازن الاجتماعي وتأسيس السلم بين أفراد وجماعات التلاحم بين أعضاء المجموعة⁽²³⁾

2-2-3 نظرية التحالف لكلود ليفي ستروس :

يعتبر ليفي ستروس أحد رواد الأنثروبولوجيا المعاصرين حيث وضع نظرية عامة في القرابة في كتابه الأول "البنى الأولية للقرابة" 1949 ودراسته لأنظمة القرابة" توصل من خلالها إلى مفهومين أساسيين هما: ذرة القرابة، ونظرية الاتحاد (التحالف) والزواج ولعب هذين المفهومين دور جوهري في تحديد وفهم مسألة القرابة في منظورها الحديث⁽²⁴⁾ ولقد اجتهد ليفي ستروس في تبين كيف يتواصل الأفراد والمجتمعات مع بعضهم البعض ووجد في التواصل والتبادل مفهوما موحدا فهو يرى أن المجال الانساني هو عالم من التبليغات وكون من الرسل ويعتبر على ثلاث مستويات لألية التواصل إذ يتوفر المستوى الأول على تنظيم وتبادل الخيرات والخدمات بينما المستوى الثاني يتصدى إلى عقلنة تبادل الرسائل والمعاني أما المستوى الثالث فيضبط مستوى تبادل النساء وتداولهن وعليه يجزم ليفي

ستروس بأن دراسة نظام القرابة أو النظام الاقتصادي أو نظام اللسان لا تخلو من تماثل بنيوي⁽²⁵⁾، ووجود بنية القرابة تتطلب اشتغال هذه البنية على نماذج العلاقات العائلية الثلاثة المبنية دائماً في المجتمع البشري وهي علاقة العصب وعلاقة زواج وعلاقة نسب بعبارة أخرى علاقة شقيق بشقيقته وعلاقة زوج بزوجته وعلاقة قريب بطفل وبهذا الاعتبار تخلق بنية علاقات قرابة معينة.

يحلل كلود ليفي ستروس مظاهر تحريم الزواج الأقارب ليوضح إيجابياتها حيث أن منع الاتحاد بالنساء بعيدات ضرورياً، وبالتالي تحرير الأولويات لرجال أبعد، وهذا يعني جعل اتحاد الجنسين موضوعاً للتبادل أي اتحاداً تصاهرياً وهكذا تنشأ عملية التواصل، ويدل ليفي- ستروس على أنها تعمل بطريقة منتظمة حيث التصاهرات اللاحقة هي التصاهرات السابقة⁽²⁶⁾ وفي نظر ليفي ستروس أن الابنة تترك أهلها وليس الابن حاملة إرث عائلتها المادي والقرابي والثقافي الرمزي والاتصالي ذلك أن العلاقات الاجتماعية تتم مع الخارج أي مع المجتمع لا مع الداخل في بقاء الابن في أحضان عائلته⁽²⁷⁾.

إن زنا المحارم عند ستروس هو قانون عام للتبادل بين الجماعات القرابية والتي تفرض الزواج الخارجي وتمنع الزواج الداخلي بين أفراد نفس الجماعة⁽²⁸⁾.

يرى ليفي ستروس أن نظم القرابة إما أن تكون أولية أو مركبة ففي ظل النظم الأولية يختار الفرد شريك العلاقة الزوجية وفقاً لقواعد إجتماعية محددة محكومة لقانون زنا المحارم، فمثل التنظيم الذي يقال عنه ثنائي يؤدي بالمجتمع على الانقسام إلى طائفتين مختلفتين تخضع في بعض الأحيان إلى قاعدة الزواج الخارجي فهي تلزم الرجل الزواج من طائفة منافسة، فبالأشخاص من نفس الطائفة هم أقارب متوازنون أما الأفراد من طائفة أخرى هم أقارب بالتقاطع، و مجموع مفردات القرابة تترتب بالدرجة الأولى من جماعة الإخوة والأخوات الذين يمنع الزواج فيما بينهم بينما الأقارب بالتقاطع فعكس ذلك فهم الأقارب الأوائل الذين بالإمكان الزواج منهم⁽²⁹⁾ يميز "لفي ستروس" بين نظامين للقرابة الأول الممثل في النظم الأولية يميز المجتمعات البدائية والتقليدية أين يختار الشخص شريك العلاقة الزوجية وفقاً لقواعد إجتماعية محددة غالباً ما تكون ممثلة في قواعد القرابة بينما على العكس من ذلك لا يختار

هذا الشريك في النظم المركبة التي تميز المجتمعات المتقدمة وفقا للقواعد السابقة وإنما وفق الاختيار الشخصي⁽³⁰⁾.

4- أهمية القرابة:

إن العلاقة الوظيفية بين القرابة والفرد والقرابة والأسرة وكذلك علاقتها بالمجتمع تمكننا من استخلاص الأهمية البالغة للقرابة بالنسبة لهذه الثلاثية: الفرد والعائلة والمجتمع والتي نلمس من خلالها وجود نوع من التفاعل المتبادل بين القرابة في الأسرة والقرابة في المجتمع. ويعد هذا الاهتمام للبعد القرابي لمدى فعاليته في المجتمع.

وتكمن القيمة الحقيقية للأقارب في مقدرتهم على أن يكونوا مصادر مكملة للأسرة النواة المنعزلة، لكون هذه الأخيرة تنتمي بيولوجيا واجتماعيا إلى هذه الجماعة الأولية المتسمة بالوحدة والتماسك، والتي يلتمس الفرد من خلالها إشباع مختلف حاجاته، كما يكسبه هذا الانتماء أيضا الاحترام والقبول والمكانة الاجتماعية لكون مسألة الانتماء إلى نسب معين يلعب دور فعال في إعطاء قيمة اجتماعية للفرد داخل المجتمع ومنه تصبح القرابة بمختلف علاقاتها واتمائها من أهم المواضيع الحساسة في واقعنا وفي الكثير من المجتمعات ولاسيما المجتمع العربي الذي يعني النسب فيه "الانتماء إلى جماعة اجتماعية يستخدمها العربي المنتسب إليها كجماعة مرجعية للتماثل والتطابق في تفكيره أو تصرفه الاجتماعي مع فكر ومعتقدات أعضاء الجماعة التي تنطوي تحت نسبه، ويمثل النسب أيضا مسارا يربط الفرد بأحد مكونات المجتمع، والانتماء الاجتماعي والخلفية التاريخية لهذا المسار يحددان مكانة الفرد ووحداته الفردية داخل المجتمع⁽³¹⁾.

ويهتم كل رجل وامرأة اهتماما بالغا بمسألة وشؤون العائلة التي ينتمون إليها، وهذا الاهتمام يتجسد في نوعية العلاقات الغير رسمية والمتأسكة التي تربطهم ببقية أعضاء العائلة والجماعات القرابية، وطبيعة هذه العلاقات تجعله يشعر بالارتياح والطمأنينة، وبجأيته من العزلة الاجتماعية والأخطار الخارجية التي قد تهدد كيانه ومستقبله⁽³²⁾.

الفرد دائما يرى في أهله وأقاربه امتدادا لنفسه، ومنها تعد القرابة وسيلة للاندماج في جماعة الأهل والأقارب، فبدون روابط دموية أو مصاهرة يصعب على الفرد الدخول في علاقة مع العائلة، فقد يندمج الفرد كصديق، أو مع جار ولكن اندماجه لا يكون بنفس درجة القريب، وبذلك تكتسب العلاقات القرابية أهمية كبيرة ابتداء من العلاقة بين أعضاء الأسرة الواحدة ليمتد إلى غاية كل فروع شجرة العائلة وبدرجات قرابية متفاوتة، حيث تفيد القرابة في تعريف هوية الفرد داخل وحداته القرابية ومكانته داخلها، أي تعريف الفرد بأصوله وفروعه، وكذلك أهم المبادئ والقيم التي يُعرف بها تبعاً لوحداته القرابية ومكانتها لذلك، تقول مارتن سيقلان " هكذا تؤدي القرابة دور بطاقة الهوية وتعريف في العلاقة مع الآخر، وأعطت لنا مثل عن شاب جاء بزيارة عمته وهو لا يعرفها، ولكن بوصوله إلى مكان إقامتها وبتقديم نفسها على أنه ابن أخيها فإن العمّة سمحت له بالدخول والمبيت عندها⁽³³⁾

وهنا تكمن الأهمية البالغة للقرابة وعلى جميع الأصعدة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، وتحظى القرابة بهذه الأهمية وتصبح معترف بها في كل المجتمعات نظرا لما تؤديه من أدوار ووظائف مختلفة تعود على الجماعات القرابية خاصة والمجتمع عامة.

5- وظائف القرابة:

يتفق العديد من المفكرين على أن القرابة تؤدي العديد من الوظائف الاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية التي تعمل على استقرار المجتمع البشري واستمراره، لأن البناء القرابي في طبيعته يتميز بدوامه ولهذا فإن أي بناء قرابي يمكن أن يقوم بوظيفته بصورة أفضل إذ اشتمل على روابط طويلة المدى مما يؤهلها أن تكون قاعدة أساسية ذات دور فعال على أفراد وحداتها وسط المجتمع أو لمعرفة مدى أهمية ووظائف رابطة القرابة في المجتمع ركزنا على مساهمة العلاقات القرابية وأثارها خاصة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المجتمع.

5-1 على المستوى السياسي:

تحتل القرابة مكانا مركزيا في دراسات الأنثروبولوجيا السياسية حيث تعرضت العديد من الدراسات التقليدية لمواضيع المجتمعات التي تنتظم حول القرابة ومختلف مؤسساتها التي تقوم على أساسها وتجعلها مصدرا لكل السلطات بما فيها السلطة السياسية، وفي هذه المجتمعات يترك مفهوم الوطن والدولة مكانة لمفهوم النسب، ويكون الفرد مدين لقبيلته التي هي حصيلة النسب أو الأنساب، وفيها تعلوا العلاقات القرابية فوق كل علاقة، " إن الارتقاء إلى مراكز القرار يشترط في المترشح أن يكون منتمي إلى قرابة قوية بملكيتها وأفرادها وتحالفاتها وولاءاتها بها تكون القرابة ذات دور في تحديد وتعيين الحكام إذ يساهمون بحالات ووضع إشاعات لنجاحه والوصول إلى الحكم"⁽³⁴⁾

كما نجد أن القرابة لها دور في إبقاء مناصب الحكم متداولة وعبر أجيال داخل الجماعات القرابية، وهذا عند المجتمعات التي تعرف نظام حكم ملكي أي أن الحكم والسلطة فيها يبقى متداول داخل عائلة ذات مكانة عظمى بذلك المجتمع، ومنه يُبقي عامل القرابة سلطة الحكم داخل وحدتها التي تتسم بالتضامن والتماسك بين أفرادها، حيث تستخدم بعض النظم السياسية الحاكمة روابطها القرابية في تثبيت دعائم حكمها⁽³⁵⁾

وكذلك الدور الفعال الذي يخدم به الزواج والذي يعد كتوسيع لنطاق القرابة⁽³⁶⁾

وهذا يربط الزوج بأقارب زوجته والعكس، وبالتالي تربط مجموعة كبيرة من أفراد الأسرتين مع بعضها في ظل تنوع الجماعات القرابية كالأسرة النووية والأسرة الممتدة والبدنة والعشيرة والقبيلة...

إن التركيب السياسي والبنية القبلية يتكون ويتنوع بتنوع التحامها وتجربتها في الأوقات والمناسبات المختلفة التي تجرى في حياة القبيلة، وتربط الزعامة السياسية بالقرابة، والأدوار والمراكز الزعامية والقيادية كثيرا ما تشغل من السلف إلى الخلف عن طريق الخط القرابي. وعموما تعمل القرابة كبنية سياسية تؤسس مجموعات انقسامية يرتبط فيها الكلي في شكل وثيق بتداخل الأجزاء فيما بينها والدليل على ذلك مناخ الديمقراطية والمساواة النسبية التي تميز الجمعيات السياسية القائمة على القرابة مثل جمعيات الأنساب ومجالس الشيوخ

الممثلين لعائلات القرية والعشيرة فالزعم في هذه الحالات لا يصنع القرار اتجاه فرد معين للعقاب أو الضغط إلا بالرجوع إلى إجماع المجموعة بالإصغاء والسعي لكبار الجماعة وكسبهم وتقديرهم وبهذا تأخذ القرابة على عاتقها تنظيم القيم والتصورات والمصالح التي تجرى باسمها على الدوام وعملية إعادة توزيع الثروات والألقاب والسلطة داخل المجموعة.

والقبيلة والعشيرة لا تزالان تلعبان دورا مهما في المجتمعات العربية في الحرص على حفظ الأنساب، وبرزت الأهمية العشائرية حتى في الانتخابات البرلمانية، ويظهر هذا بجلاء في الجزائر خاصة في الحملات الانتخابية المحلية حيث يتوقف نجاح المرشح (رئيس البلدية) مثلا أو العضوية في البرلمان بشكل كبير من عشيرته في مقابل أن يخدمها فيما بعد. "والانتماء القبلي هو من بين أكثر الانتماءات التقليدية رسوخا وتأثيرا في مجمل الحيات العربية، والقبيلة لا تزال هي أهم ركائز الحكم في الجزيرة العربية والخليج حتى أنه توجد عائلات حاكمة بالمعنى الذي يقال أن هناك طبقات حاكمة في المجتمعات المتقدمة"⁽³⁷⁾ الأمر الذي يعزز القرابة سواء دعمت الأنماط القرابية الحاكم أو عارضته لأنه في كلتا الحالتين تتماكس الروابط القرابية داخل الجماعات القرابية الداعمة أو المعارضة، بهذا تعد القرابة من أهم العوامل المتحكمة والمؤثرة على بعض الأنظمة السياسية بالمجتمع.

2-5 على المستوى الاقتصادي:

إن الوظيفة الاقتصادية للقرابة نستشفها في كون البناء القرابي يعد من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تكون وحدة اقتصادية متكاملة، تلعب دور فعال في رسم معالم الجوهر الداخلي للمجتمع وتحديد طبيعته المادية، والقرابة تتفاعل مع بقية المؤسسات البنائية بالمجتمع حيث تؤثر وتتأثر بها "العائلة تعد حجر الزاوية لتنشئة الفرد وأساس أخلاقه ومقاييسه وقيمه وخبراته بل وحتى تدريبه، ومنه فهي أساس مؤهلاته العلمية والمهنية، وبهذا تصبح العائلة وحدة قرابية تساهم في تحديد وقياس درجة تقدم المجتمع ورفقه الاقتصادي كوحدة جزئية مهمة داخل البناء الاجتماعي"⁽³⁸⁾.

كما يساهم البناء القرابي في تدعيم المستوى الاقتصادي لأفراد وحداتها من خلال المشاركات الجماعية في مهن وحرف معينة تجارية كانت أو فلاحية وصناعية تعود بالمنفعة

المشتركة بينهم، كما تساهم من خلال مساعدة أحد أفراد الجماعة القرابية باقتراضه أموال للقيام بمشروع معين أو للدراسة في بعثات إلى خارج وطنه، حيث يعود هذا الدعم بالمنفعة ويزيد في قوة الوحدات القرابية اقتصاديا واجتماعيا بالمجتمع سواء التقليدي منه أو الحديث حيث أن هذا الأخير ما زال محافظ ويشهد هذه الإمكانية للبناء القرابي وأهم وظائفه في مختلف الميادين لاسيما الاقتصادي منه هذا "لأن النمو التكنولوجي يسمح ويساهم بالتبادل القرابي عبر مساحات كبيرة"⁽³⁹⁾ وبذلك فإن "حرص بعض الأفراد والوحدات القرابية على إبقاء واستمرارية روابطهم القرابية يعود إلى تحقيق بعض أهدافهم الاقتصادية وبعض المكاسب والمواقع السياسية بالمجتمع"⁽⁴⁰⁾.

إن التكافل الاقتصادي شرط ضروري لحصول الوحدة ضمن العائلة وتساند أعضائها، وذلك جعل الإسلام من نفقة الرجل على زوجته شرط من شروط إتمام الزواج، بل يترتب عليه جزاءات في حالة عدم الالتزام به أثناء الحياة الزوجية ونفس الشيء على أولاده كما نجد الدعم المادي بين الجد وأحفاده بإنجاز مشروع وتوظيف من خلال علاقات قرابية أو معارف أخرى خاصة من أفراد العشيرة أو القبيلة وبهذا تصبح العلاقة بين أفراد الوحدات القرابية ك رأس مال اجتماعي والتي تندرج في شبكة علاقات قرابية وهي تعد مصادر بشرية يمتلكها الفرد وتفيده في تحقيق الغايات الفردية من جهة والجماعية القرابية من جهة أخرى "ف رأس المال الاجتماعي يسمح بإنتاج منفعة جماعية تعود على كافة أعضاء الزمرة ذات المصالح المشتركة سواء "أشاركوا أو لم يشاركوا في إنتاج هذه المنفعة، كما أن الشبكة من الأفراد في جمعية ما تسمح لها بتأمين مكان تمارس فيه أنشطتها"⁽⁴¹⁾.

وبهذا تقوم العلاقات الأسرية على التعاون والتضحية والالتزام الشامل الغير المحدود والغير المشروط، من دون أي تحفظ، وهذا يعزز أساس أفراد الأسرة الراسخ بالاطمئنان والاستقرار النفسي، وهذا بضمان عدم الاحتياج المادي للغير من خلال العلاقات القرابية داخل العائلة وكذلك الجماعات القرابية كلها.

كما أن التنظيم الاقتصادي يميل إلى تقوية الارتباطات داخل المجتمع العائلي بالرغم من أن القانون الإسلامي يسمح بتقسيم الميراث ويؤكد عليه فإن رئيس العائلة الجد الأول يكون

مبدأ الانقسام للتراث الفلاحي وهو مبدأ لا يناقش تقريبا حسب رأي بوتفونشت ففي المجتمع الجزائري الأراضي والحقول التي تعود لعائلة كبرى لم تكن أبدا لتقسم بين مختلف الذين لهم الحق في الوراثة عند موت البطريق، ولكن وراثا واحدا كان يعين ضمينا من طرف البطريق قبل موته، وهذا الوارث يصبح السلطة الوحيدة التي لا تناقش لأن مبدأ الانقسام يضمن البقاء الذي تضمنه الجماعة بكاملها لأعضائها في شيء من مبدأ العدالة الاجتماعية⁽⁴²⁾.

إن الخاصية الأساسية في المجتمعات التقليدية التي تعتمد الانقسام في التراث لها خاصية أساسية هي أنها لا تميل إلى الاستهلاك ولكن تميل إلى الادخار أكثر كوسيلة للبقاء أو العيش أي الاستهلاك الضئيل باستثناء المناسبات الكبرى والادخار لا يعني بخل لأن العائلة في المجتمعات التقليدية تنسم بسمة الكرم والضيافة.

"إن انقسام التراث الاقتصادي والاحتياط لوسائل البقاء على المدى البعيد بواسطة التشفير والاحتياط الاقتصادي أي العولمة على مستوى الفرقة(العشيرة) في الأوراس والمطمورة تحت التربة في منطقة القبائل"⁽⁴³⁾ والتي تعد أشكال وتقاليد اقتصادية تضمن التضامن والبقاء بين وحدات الجماعات القرابية وخاصة بين أفراد العائلة والعشيرة وهذه الأشكال من التنظيم الاقتصادي يتواجد بأساليب مختلفة عبر مختلف أنحاء البلاد باختلاف تقاليدهم.

تعتبر الحياة القبلية للأرض أو الوطن القبلي من أهم مقومات ومظاهر الوحدة والتماسك القبلي ومن أبرز مظاهر التضامن بالمجتمعات القبلية للدفاع عن الموارد الاقتصادية ضد أي اعتداء تتعرض له، ويقتسم العمل بين أعضاء هذه الوحدة القرابية بمعنى أنه توجد علاقة وظيفية بين الأوضاع الأيكولوجية والاقتصادية من جهة والبنية القرابية من جهة أخرى⁽⁴⁴⁾.

3-5 على المستوى الاجتماعي:

تتجلى وظيفة القرابة وأثرها على المستوى الاجتماعي بالنسبة للمجتمع أو الفرد، في كونها تقوم بتحديد مواقع الأسر واتباطاتهم بها، وإزاء هذا التحديد تمارس نفوذها وتأثيرها

وتضع موانعها ومحرماتها وتطرح موافقتها ومسامحتها على أبنائها، فضلا عن وضع فروض أخلاقية وأدبية ومالية وواجبات تجاه أنساب القرابة الواحدة وبذلك تمنح القرابة المكانة الاجتماعية للفرد وتعطيه اعتبار داخل وحدته القرابية والمجتمع، كما تضمن له الاطمئنان النفسي والتكافل الاجتماعي والضمان الاقتصادي في تعاونه مع أفراد جماعته القرابية.

تمثل القرابة مؤسسة اجتماعية داخل الكيان الاجتماعي العربي لأنها تربط العربي بنسبه وأقاربه لدرجة تصل إلى أنه لا يستطيع أن يتخذ قرار علني يخصه أو يخص أقاربه إلا باستشارتهم والأخذ بآرائهم، كما يساهم الفرد في المشاركة ومساعدة أقاربه في الأفراح والأفراح، وهذا ما يبين ممارسة القرابة ونفوذها وتأثيراتها العرقية على الفرد العربي، حيث إذا خالفها أو خرج عنها فإن مكانته الاجتماعية بينهم تقل وتفقد كامل الصلاحيات الخاصة منها ما يتعلق باتخاذ القرار داخل ذلك البناء القرابي، وكما قد يحرم من مكاسب مالية أو مهنية أو حرفية، مما يعود على تدهور مكانته الاجتماعية⁽⁴⁵⁾، وكما تساهم القرابة في حل العديد من النزاعات والدفاع عن أفرادها والقضاء عن المشاكل والأخطار التي تواجههم من خلال مختلف العلاقات والتفاعلات مع العالم الخارجي، كما تعد عوناً لأفرادها كمد المساعدة لكبار السن ورعايتهم أو إعانة المحتجين منهم، وهذا التضامن في المجتمعات العربية يعود إلى تأثير البعد الديني، حيث أن تمسكهم بعلاقتهم القرابية والحرص على استمرارها هو تمسك بالدين الإسلامي وما يحث عليه، ليصبح هذا النظام القرابي أداة ووسيلة للتضامن وإعانة المحتجين من خلال الصدقات ودفع الزكاة وغيرها من صور التضامن الذي تشهده المجتمعات العربية الإسلامية.

لقد حدد الدين الإسلامي نظاما متدرجا للتضامن ابتداء من المقربين داخل الدوائر القرابية للفرد وبالتدرج إلى غاية والأفراد الخارجين من دائرته القرابية ونجد في هذا قوله **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِالْكَوْابِرِ إِنَّهُ اشْرِكُهُ بِمَا أَنَا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** (سورة النساء، الآية 36)، ومن هنا الاستدلال القرآني نستشف أثر البعد الديني على البناء القرابي والبناء الاجتماعي ما يعزز

دوره وأهمية القرابة في المجتمع العربي وما تعود به من آثار على المجتمعات الأخرى وهذا ما يبقى القرابة وعلى مدى طويل ذات أهمية ودور فعال في المجتمع.

خاتمة:

وبهذا تكون القرابة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي لها الأثر البالغ على المستوى الاجتماعي والاقتصادي وكذلك السياسي بالمجتمع من خلال مختلف وظائفها التي تنسم بطابع الاستمرارية والدوام، ما جعلها تحظى بمجال واسع في الدراسات الأنثروبولوجية.

المراجع والهوامش:

- ¹ شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، المركز القومي للترجمة: محمد الجوهري، 2009، الطبعة 2، ص 428.
- ² معن خليل عمر، البناء الاجتماعي أنساقه وأنظمتها، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1996، ص 146.
- ³ إحسان محمد الحسن، القرابة والزواج دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص 19.
- ⁴ Levi-srauss. (C), structures élémentaires de la parenté, PUF :Paris ,1949, P42.
- ⁵ Segalen (M), Sociologie de la famille, Armand Colin Edition, Paris, 1981, PP40-41.
- ⁶ إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 19.
- ⁷ حسن عبد الحميد أحمد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجال التطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1989، ص 103.
- ⁸ شارلوت سيمور سميث، مرجع سابق، ص 430.
- ⁹ عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص 201-202.
- ¹⁰ هنري مندارس، مبادئ علم الاجتماع، ترجمة ملام حسن، ديوان المطبوعات الجامعية، ب ت، ص 273.
- ¹¹ السيف محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان، التغير الاجتماعي والعلاقات القرابية دراسة سوسيو أنثروبولوجية في مجتمع عينة، العدد 69 إصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة، كلية الملك فهد الأمنية الرياض، 1990، ص 39.
- ¹² أبو زيد أحمد، البناء الاجتماعي يدخل لدراسة المجتمع، ج 2، دار المعرفة الجامعية، الكويت، 2011، ص 278.
- ¹³ رشوان حسن عبد الحميد أحمد، دور المتغيرات الاجتماعية في التنمية الحضرية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص 137.
- ¹⁴ زايد أحمد وآخرون، الأسرة والطفولة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب ت، ص 08.
- ¹⁵ إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 23.
- ¹⁶ نفس المرجع، ص 23.
- ¹⁷ جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، 2000، ص 116.
- ¹⁸ فريدريك معنوق، قاموس علم الاجتماع (إنجليزي، فرنسي، عربي)، مراجعة محمد ديس، أكاديمية بيروت بيروت، 1998، ص 161.

- ¹⁹ -جوردن مارشال، مرجع سابق، ص 1115.
- ²⁰ -محبوب محمد عبده، طرق البحث الأنثروبولوجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 144.
- ²¹ -شريف فاتن، الأسرة والقرابة دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006، الطبعة 1، ص 38.
- ²² -جوردن مارشال، مرجع سابق ص 1115.
- ²³ -بن أحمدودة محمد، الأنثروبولوجيا البنوية أو حق الاختلاف دار محمد علي الحامي، صفاقص تونس، 1978، الطبعة 1، ص 70.
- ²⁴ -فريدريك معتوق، مرجع سابق، ص 207.
- ²⁵ -بن أحمدودة محمد، مرجع سابق، ص 69.
- ²⁶ -دان سبيرير، البنوية في الأنثروبولوجية، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص 11.
- ²⁷ -فريدريك معتوق، مرجع سابق، ص 52.
- ²⁸ -السخاوي مصطفى، النظم القرابية في المجتمع المحلي، دار المعرفة الجامعية الأزريطية، مصر، 1996، ص 46.
- ²⁹ - Alan Beitone, sciences sociales, Campusprogred. France, 2000, P174.
- ³⁰ -شارلوت سيمور سميث، مرجع سابق، ص 148.
- ³¹ -معن خليل عمر، علم الاجتماع الأسرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، 1994، الطبعة 1، ص 155.
- ³² -إحسان محمد الحسن، مدخل إلى علم الاجتماع دار الطليعة للنشر، بيروت، 1988، ص 125.
- ³³ - Segalen (M), ipid, P86.
- ³⁴ -الخولي سناء، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية بيروت، 1977، ص ص 75-76.
- ³⁵ -معن خليل عمر، مرجع سابق، ص 160.
- ³⁶ - Riviere.C, introduction à l'anthropologie. Hachette 2^{ème} ED, Paris, 1999, p100.
- ³⁷ -بركات حليم، المجتمع العربي في القرن العشرين بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2000، ص 353.
- ³⁸ -إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 68.
- ³⁹ -الخولي سناء، مرجع سابق، ص ص 75-76.
- ⁴⁰ -الحسيني السيد، المدينة راسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعارف، القاهرة، 1985، الطبعة 3، ص 74.
- ⁴¹ -كبان فيليب وجان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمت إلياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، 2010، ص 223.
- ⁴² -بوتفنوشات مصطفى، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، ترجمت دمري أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر 1984، ص ص 47-48.
- ⁴³ -بوتفنوشات مصطفى، نفس المرجع، ص 49.
- ⁴⁴ -محبوب محمد عبده، أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011، ص 219.
- ⁴⁵ -معن خليل عمر، مرجع سابق، ص ص 163-164.

